دراسة أثرية معمارية مقارنة للتخطيطات الكنائسية القبطية

د. أشرف سيد محمد البخشونجى*

المقدمة

حق على الباحث قبل دراسة التخطيط الكنسى القبطى - أن يتناول أنواع التخطيط الكنائسية المعروفة، سيما لو أضاف إلى هذه الأنواع وجهة نظر أثرية جديدة أو مفهوم معمارى وليد ، وقد ساعد الباحث على ذلك كثرة الاكتشافات الأثرية الحديثة وازدياد الأبحاث المحلية والعالمية الدارسة لهذا النوع من أنواع التخطيطات المعمارية .

وفى هذا الحديث المقتضب تناول الباحث أنواع التخطيطات الكنائسية التقليدية بالبحث مقسما إياها إلى نمطين رئيسيين أحدهما زمنى والآخر معمارى أما الزمنى فقد قُسم إلى أربعة أقسام تحدث الباحث فيها عن التخطيط البازيليكى وأورد لأول مرة بالعربية ما يثبت اشتقاق ذلك التخطيط من مبانى ستوا stoa اليونانية ، وقسم الباحث أيضا التخطيطي البازيليكى إلى أبنية بازيليكية غير مسيحية أو سابقة للمسيحية ثم أبنية بازيليكية مسيحية ثم أبنيه بازيليكية قبطية وبين الفروق بين جميعها وما يتميز به كل نوع من هذه الأبنية عن الاخر واستعان الباحث بأمثلة من تخطيطات بازيليكية عالمية ومحلية للتدليل على قوله وصدق رؤيته . وقد بينت هذه الدراسة جميع المصادر التى يحتمل ورود التخطيط البازيليكى منها .

ثم تحدث الباحث عن التخطيط البيزنطى وأثبت لأول مرة وجود أمثلة قريبة من أمثلة هذا التخطيط فى مصر وكانت الأبحاث السابقة لهذا البحث تنكر

---

* أشرف سيد محمد البخشونجى مدرس بقسم الآثار الاسلامية -كلية الآداب بسوهاج -جامعة جنوب الوادى .

وجود أمثلته بمصر(١) .

كما تناول الباحث أيضا التخطيط القبطى بالدرس والبحث ، ثم شـــرع الباحث فى الحديث عن التخطيط غير التقليدى للكنائس القبطية بمصـــر بتناولـــه العديد من الأنماط المعمارية الكنائسية غير التقليدية والمتكررة وغـــير المدرجـــة ضمن أنواع التخطيط الكنائسى رغم ما بينها من شديد اتفاق وإبانة تشابه .

وتناول الباحث أنواع من التخطيطات الكنائسية غير التقليدية والتى تنفرد بطرازها المعمارى ونمطها التخطيطى عن غيرها من أنواع التخطيطات الأخـــرى فشكلت بهذا نمطا معماريا فريدا وطرازا وحيدا بين كنائس قطرها .

ثم اختتم الباحث مبحثه بكلمة أثبت فيها صعوبة إخضاع العمارة الكنسية القبطية لعدد محدود من التخطيطات أو حدود واضحة لمعـــالم كنســـية معماريـــة تخضع لها الكنيسة القبطية .

****

نمط الباحثون طرق دراسة المبانى المسيحية إلى أنماط عدة ، إلا أن أهمها هـــو التنميط الزمنى chronological ، وكذا التنميط المعمارى Architectural .

يقوم التنميط الزمنى على أساس تقسيم عمارة الكنيسة إلى أربعة أقســـام زمنية هى :- ١- كنائس العصر المسيحى المبكر ٢- كنائس العصر الإســـلامي المبكر ٣- كنائس العصر الإسلامى الوسيط ٤- كنـــائس العصـــر الإســـلامى المتأخر .

ويلاحظ تميز كل فترة من الفترات الزمنية الســـابقة بســـمات معماريـــة كنائسية خاصة نجملها فيما يلى مع التعريف بالحقبة الزمنية الممتد فيها :-

---

(١) أشرف سيد البخشونجى : دراسة أثرية للكنائس الباقيةبمدينة ملوى فى العصر الإسلامى – رسالة ماجستير غير منشورة –جامعة القاهرة – كلية الآثار ١٩٩٥ ص١٤١ .

أولا : كنائس العصر المسيحى المبكر :-

العصر المسيحى المبكر هو الفترة التـــى امتـــدت منـــذ القـــرن الأول الميلادى حتى منتصف القرن السابع الميلادى تقريبا.

لم تتبلور مميزات العمارة الكنائسية الجادة إلا فى غضون القرن الرابـــع الميلادى ثم بلغت قمة من قمم ظهورها خلال القرن الخامس الميـــلادى . وســـاد التخطيط البازيليكى على كثير من كنائس هذه الفترة بما يتميز به مـــن جزئيـــات معمارية خاصة كالهيكل الثلاثى والأتريوم[1] Atrium وكذا كثرة الدخلات الكائنة فى سمت الجدران .

ثانيا: كنائس العصر الإسلامي المبكر :

وهى كنائس الفترة الممتدة من دخول الإسلام مصر حتى بدايـــة العصـــر الفاطمى ، ويعبر عنها أيضا بكنائس العصور الوسطى المبكرة وتمتد هذه الفـــترة من القرن السابع حتى أواسط القرن العاشر الميلادى ، ويلاحظ على عمائر هـــذه الفترة الكنائسية قلة العدد وصغر الحجم.

ثالثا : كنائس العصر الإسلامي الوسيط :

يعنى الباحث بالعصر الإسلامي الوسيط أي السنوات التى امتـــدت إبـــان العصر الفاطمى والأيوبي والمملوكى ، ويعبر البعض[2] عن هـــذه الفـــترة باســـم العصور الوسطى العليا ، وتميزت عمائر هذه الفترة الكنائسية بكثرة العدد وظهور تخطيطات كنائسية جديدة غير التخطيطات البازيليكية والبيزنطية .

---

[1] الأتريوم : فناء مربع تقريبا محاط بالبائكات فى أربع جوانب منه أو على الأقل ثلاثة ، استخدم كفناء داخلى رئيسى فى العديد من المنازل الرومانية مؤديا وظيفة الظلة ، ووجد أيضا كفناء لمداخل الكثير من الكنائس المسيحية المبكرة ، استمرت استخداماته فى العمارة الدينية وغيرها حتى نهاية القرن العاشر الميلادى تقريبا ، وهو قليل الاستخدام فى مصر . للاستزاده انظر (.Grossmann(p :" Atrium " in the coptic encyclopedia . vol.1. pp.196 : 197 .

[2] Grossmann.(p.) :" church architecture in Egypt " coptic encyclopedia . vol 2.p.554.

رابعا : كنائس العصر الإسلامي المتأخر :

امتدت سنوات العصر الإسلامي المتأخر منذ الربع الثانى من القرن السادس عشر الميلادى حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى ، وتميزت كنائسه بسيادة التخطيط الاثنى عشرى وإهمال أغلب — بل يمكن القول – جميع أنواع التخطيطات الكنائسية الأخرى [١].

أما عن التخطيط المعمارى للمبانى الكنائسية : فهو الذى يعتمد على تقسيم العمائر الكنائسية إلى ثلاثة طرز أولها التخطيط البازليكى ثم البيزنطى ثم القبطى .

التخطيط البازيليكى :-

لم ينتشر هذا التخطيط داخل مصر فقط بل انتشر في جميع أنحاء العالم المسيحي القديم تقريبا ، و فحوى ملامحه أنه يتكون من دهليز أمامي غربى " Narthex " يحتل الجهة الغربية من الكنيسة وهو المعروف بدهليز أو ممر المدخل ، و يكون به أحيانا حوض للمغطس هو الذى يستخدم فى طقس غسل الأقدام .

يلى دهليز المدخل جهة الشرق الصحن وهو يتكون من جناح أوسط كبير وجناحين جانبيين أصغر منه يفصل بعضهما عن البعض بائكتان من الأعمدة الممتدة من الشرق إلى الغرب حاملة عقود تحمل بدورها السقف الذى غالبا ما كان جمالونيا في الجناح الأوسط ومسطح منخفض قليلا - عن السقف الجمالونى الأوسط — في الجناحين الجانبيين و يصف البعض الصحن بـ Nave بينما توصف أجزاؤه بالجناح Aisle ، وهناك آخرون يعرفونه بـ Naos .

---

[١] للمزيد انظر : أشرف سيد البخشونجى : " دراسة أثرية للكنائس الباقية بمصر الوسطى خلال العصر الاسلامى " رسالة دكتوراة غير منشورة – جامعة القاهرة – كلية الآثار – ١٩٩٨ م (ص ١٠ : ١٥)

يلى الصحن جهة الشرق مكان مخصص للمرتلين شاع عليه تسمية الخورس ، وهو مستطيل ويمتد من الشمال إلى الجنوب أمام هيكل الكنيسة وغالبا ما ترتفع أرضيته عن أرضية الصحن .

وفي النهاية الشرقية للكنيسة يوجد الهيكل الذى يتخذ تخطيطا مستديرا أو مربعا أو مستطيلا يتوسطه مذبح وبه فى جداره الشرقى دخلة تسمى " شرقية " يعرفها العامة بحضن الآب وشق الهيكل ويفصل الهيكل عن الخورس حجاب حاجز غالبا ما كان يصنع من الخشب[1] كما وجدت منه أيضا بعض الأمثلة البنائية سواء من الحجر أو الآجر .

وبالبحث تبين لى أن الأبنية البازيليكية يمكن تقسيمها إلى :ـ

أبنيه بازيليكية سابقة للمسيحية — أو غير المسيحية .

أبنيه بازيليكية مسيحية .

أبنيه بازيليكية قبطية .

أولاً: الأبنية البازيليكية غير المسيحية: -

أخذت هذه الأبنية فى روما العتيقة شكلا مستطيلا مغطى وله مداخل فى أضلاعه الطولية .

وكانت هذه الأبنية تستخدم فى الأغراض التجارية ذات المستوى العالى لذا فقد كان يشترط فيها أن تكون فى موقع متوسط يسهل الوصول إليه حتى تفى

---

[1] Butler (A..J) :" The ancient coptic church of Egypt ".vol.1.pp.15: 17
Adeny(w.f.):" The Greek and Eastern Churches." p.179.

سعاد ماهر : " الفن القبطى" – ص ٦١ :٦٣

رؤوف حبيب : " الكنائس القبطية القديمة بالقاهرة " – ص ٦٥٥ .

باهور لبيب : " الفن القبطى " – ص ٨ .

جيلان عباس : " اثار مصر القديمة فى كتابات الرحالة العرب والأجانب "– ص ٨٣

Deichmann (F.W.): " Basilika " Reallexikon fur antike and christenium 1(1950)pp.1249 :1259.

Delvoye(c) :" Basilika " Reallexikon der Byzantinischen 1(1966).pp.514 : 567.

Dyggve (E) :"Basillika discoperta" Atti Iv CONGRESSO internazionale Archeologia christiana (1940) pp.415 : 431 .

بهذا الغرض ، وإلى جانب هذا الغرض كانت البازيليكا الرومانية محلا للإجراءات المحكمية القضائية المناسبة وإتماما لهذين الغرضين فقد كان يوجد داخل البازيليكا "poduim" [١] يقع فى نهاية أحد الجدران وكان مخصصا لموظف البلديات الذى كان يلعب دورا فى إتمام الأعمال القانونية الموقعة .

ومن أشهر أمثلة البازيليكات القديمة ، بازيليكا ألبيا فى فورام تريانى بروما "Basilika ulpia in the foum traiani in Rome".

وبازيليكا سيبتمياس سيرفيرس فى ليبتس ماجنا بشمال أفريقيا "Basilika [٢] septimius serverus at Leptis Magna in NorthAfrica".

وتتجه أغلب الآراء إلى الاعتقاد بأن مبانى "STOA" اليونانية كانت تحمل البشارة بتخطيط الأبنية البازيليكية الرومانية غير المسيحية ، ولعل ما سبق ذكره يكون أكثر تأكيدا إذا ما نظرنا إلى مبنى "STOA" ذات الخمسة أجنحه الكائن بربع "ديلو" المندثر والمؤرخ بالقرن الثالث قبل الميلاد . وكانت مبانى "الستو "هذه تؤدى وظيفة الأبنية البازيليكية الرومانية ، والفارق الوحيد بينهما هو أن الأبنية البازيليكية كانت لا تحتاج إلى صف أوسط من الأعمدة كما هو الحال فى الستو اليونانية [٣].

ثانيا الأبنية البازيليكية المسيحية : -

يتميز سقف هذه البازيليكات المسيحية بصناعته من الخشب وعلو سقف البلاطة الوسطى بالصحن عن باقى البلاطات الجانبية ونادرا ما استعمل القبو البرميلى فى هذه الفترة إلا فى المناطق التى يندر وجود الخشب فيها كما كان يستخدم السقف الجمالونى فى المناطق ذات المطر الكثيف ، أما المناطق النادر هطول الأمطار فيها فقد كان فى الإمكان إبدال هذا السقف الجمالونى بآخر مسطح

---

(١) سوف يفرد الباحث مبحثا خاصا لدراسة وتوضيح مثل هذه المصطلحات المعمارية الأجنبية .انظر Grosmann (p) : " Basillica " in the coptic Encyclopedia .vol.2.pp.353 : 354 .

(٢) .Apollong -Ghettl.(B.M): Il force la Basillica serverlana de leptis Magna .Rome 1976.

(٣) Calza (G) . and G.Becotti :" Ostia" Rome 1954 .

كما كان الحال فى مصر وقد شاع فى هذه الفترة المبكرة من تـــاريخ المبـــانى البازيليكية المسيحية – خاصة فى الشرق– إقامة طابق علوى يعلو البلاطـــات الجانبية[1] وكان مخصصا فى أغلب الظن – للسيدات وكان يصعد إليه عن طريـــق سلم صاعد غالبا ما كان يحتل الجوانب القصيرة من دهليز المدخل . وتعـــد هـــذه الميزه من مميزات عمارة الكنائس المبكرة فى مصر ، مثلما نجد فى ديـــر الأنبـــا شنوده وكذا كنيسة الأنبا بشاى غرب سوهاج (ق ٥ ، ٦) وكنيسة معبد هـــاتور بدندره (ق٦م) وكنيسة دير ابوفانا المكتشفه بملوى (ق٥م) .....

ويحتل (الهيكل) الجانب الشرقى من البازيليكا المسيحية ، وقـــد اختلـــف شكل هذا الهيكل باختلاف جغرافيته وتباين الطقوس الدينية المقامة فيـــه والتـــى كانت تتباين أيضا بتباين أجزاء العالم المسيحى المديد .

وكان غالبا ما يوجد المذبح داخل هذا الهيكل إلا فى بعض كنائس ســـوريا وفلسطين فقد كان المذبح يوجد أمام الهيكل وليس بداخله[2] .

وقد جد تطور معمارى على هذه البازيليكا حينما تم الفصل بين الـــهيكل والصحن بحجاب يمتد بعرض الكنيسة أمام الهيكل .

والشاهد أن بازيليكات الشرق مميزه بكثرة عدد المذابح فى الكنيسة الواحدة

وقد ظلت البازيليكا هى الطراز المعمارى الكنسى الواسع الانتشـــار فـــى الشرق حتى منتصف القرن العاشر الميلادى تقريبا كما أنها ظلت محافظـــة علـــى مكانتها بالغرب حتى عصر النهضة (منتصف ق١٤م حتى ق١٦م) حينما أدخل على الطراز الكنسى البازيليكى الكثير من التعديلات التى لم تغير كثيرا من شكله المميز .

---

(1)Ahmed (G) ; " the continuty of ancient Egyptian style in the Coptic Architecture and Art, " a research for Doctor. Cairo University , faculty of Archeology , Department of Egyptology (1986) pp. 95:97 .

(2)Grosmann . (p) ; op .cit., vol. 2. p. 354.

ويمكن القول بأن البازيليكا الرومانية كانت بمثابة تطور معمارى للستو 'STOA' " اليونانية وأنها كانت النمط المعمارى المرغوب فيه عند تشييد الكنائس فى العصر المسيحى المبكر ، إلا أنه يجب ملاحظة فروق الاختلاف الوظيفى والتباين الطقسى التى أدت إلى بعض التباينات فى تخطيط كليهما ، ذلك أن البازيليكا المسيحية اختلفت عن البازيليكا الرومانية فى وجود هيكل بها وتحديد موقعه فى نهاية الجانب الشرقى منها ، وكذا الحرص على إنشاء "خورس" يفصل الصحن عن الهيكل ، وأيضا عدم الحرص على إنشاء هذه البازيليكات المسيحية فى أماكن ذات مواصفات خاصة ، كما كان الحال عند إنشاء البازيليكات الرومانية ذات الغرض التجارى ، وأخيرا اهتم المعمار المسيحى بتغطية البلاطة الوسطى بسقف يرتفع عن سقف البلاطتين الجانبيتين .

ثالثا : الأبنية البازيليكية القبطية : -

احتفظت الأبنية البازيليكية المصرية لنفسها بالعديد من الخصوصيات التى ميزتها دون غيرها من البنايات البازيليكية الكنسية المسيحية الأخرى ومن هذه المميزات الخاصة :-

- الحرص على إنشاء عدد من الدخلات (ضمن جدار الهيكل الشرقى) يكتنفها عمودان ، واحد إلى اليسار منها وآخر إلى اليمين مثلما نرى فى كنيستى الدير الأبيض والأحمر وكنيسة دندرة وكنيسة القديس يحنس بدير أبو حنس وكنيسة القديس فانا بدير أبو فانا ، وقد أصبحت هذه الدخلات من أهم مميزات الكنيسة القبطية البازيليكية .

- إنشاء هياكل ثلاثية المحاريب " **Triconch** " كما هو الحال فى بازيليكا هرموبوليس ماجنا وكنيستى الدير الأبيض والدير الأحمر بسوهاج وكنيسة دندرة .... كما وجدت هياكل مستديرة ومستطيلة ومربعة ، وهذا التنوع فى شكل الهياكل يعد أيضا من خصوصيات الكنيسة البازيليكية القبطية[1] .

---

[1] HAENY (G) :Basilikale Anloge in der Agyptischen baukunst deneuen Reiches.beitrae zur Agyptischen bauforseung and Alter Tiems kunde heft .(wiesbaden 1970) pp . 78 : 80 .

ويعتبر انشاء ثلاثة هياكل بالكنائس البازيليكية مرحلة إضافة وتغيير تالية للتخطيط البازيليكى الأصيل ذى الهيكل الواحد ولذا لم أدرج هذه الميزة ضمن مميزات الكنيسة القبطية .

- لقد استجد " الخورس" على تخطيط الكنيسة البازيليكية القبطية وهو الذى يفصل بين الهيكل والصحن ، وهو بذلك يؤدى وظيفة مشابهة لتلك التى كان يؤديها التيمبلون " Templon " فى الكنائس الغربية وهذا ما نراه فى كنيسة القديس يحنس بدير أبو حنس وكنيسة العذراء بحارة الروم ، وكنيسة دير السيدة العذراء السريان بالسريان بوادى النطرون ، وان كان الخورسان الكائنان بكنيستى الدير الأبيض والأحمر إضافات لاحقة .

- كما تميزت جدران البازيليكات المصرية باحتوائها على العديد من الدخلات - باستثناء عدد قليل من كنائس مصر السفلى - وقد أضحت هذه الدخلات سمة بارزة من سمات البازيليكا القبطية[1] ، ونرى هذه الدخلات كأوضح ما يكون فى كنيسة القديس يحنس بدير أبو حنس وبقايا كنيسة دير أبو فانا المكتشفه والكنيسة الواقعة إلى الشمال من بقايا المدينة الخربه إلى الشمال من دير ابو حنس . وكذا كنيسة السيدة العذراء السريان بالسريان ودير الانبا بشاى غرب سوهاج وكذا الكنيسة البازيليكية الموجودة داخل معبد هاتور بدندره .

- تميزت البازيليكات القبطية أيضا بصغر الحجم نوعا ما وكذا بساطة التصميم ، وهذا ما تتباين فيه عن غيرها من البازيليكات المسيحية الأخرى خصوصا تلك التى انشئت عقب (ق٧م) .

- كما تميزت البازيليكا القبطية فى العصر الفاطمى باستعمال أقباء فى تغطيتها ، وإن وجدت كنائس بمصر العليا قد غطى الجزء الأوسط من صحنها بقبتين متتاليتين (الواحدة خلف الأخرى) وبالطبع فقد كان يعيب هذا النوع من التغطيات عدم توافقها مع أسس التصميم المعمارى للبازيليكا مثل كنيسة الانبا هدرا بأسوان (ق١١م) .

- كما تميزت بعض كنائس مصر السفلى بتغطيتها بأقباء برميلية ممتدة جاء شكلها متوائما مع التصميم المعمارى المستطيل للبازيليكا مثل كنيسة السيدة العذراء بالبراموس (ق٥م) وكذا السيدة العذراء السريان بالسريان .

---

(1) Grossman (p.), op.cit, vol. 2, p. 355.

وهكذا فقد أصبح من الواضح حقيقة التشابه بين التخطيط البازيليكى الكنسى المسيحى والقبطى وبين البازيليكا الرومانية و"الستو" اليونانية السابقة لها ، إلا أن البعض يرى أن هناك فارقا بيّنا بينهما . فالبازيليكا الرومانية - فى رأيهم - لم تكن إلا مساحات مفتوحة تحيط بها البائكات ، ثم تطورت فأصبح يغطيها سقف ، ثم أُهملت البائكات الجانبية لتصبح البازيليكا الرومانية عبارة عن ردهة عالية يغطيها قبو مستطيل ، أما الكنيسة البازيليكية المسيحية فقد بدأت بردهة مستطيلة انتهت فى الناحية الشرقية بحجرة صغيرة (الهيكل) يتوسط جدارها الشرقى حنية "شرقية" وقد أضيف إلى هذا التخطيط البسيط رواقان جانبيان[١] ".

والشاهد أن المراحل السابقة-سواء أكانت للبازيليكا الرومانية أم للبازيليكا المسيحية - ينقصها أمثلة لمراحل التطور المذكورة ، كما يعوزها الدليل الأثرى الجلى حتى لا تقتصر مراحل التطور المعمارى تلك على مجرد التخيل وإبداء الرأى بلا دليل .

هذا ويرى فريق آخر[٢] من العلماء أن التخطيط البازيليكى مشتق أساسا من مصدر شرقى (بلاد ما بين النهرين ، سوريا ، مصر). كما أن هناك فريقا ثالث يرى أن كثيرا من العناصر المعمارية للبازيليكا الرومانية" القديمة كانت شائعة لدى المعمار المصرى خلال حكم ملوك الدولة الحديثة - على الأقل ومن ذلك قاعة الأعمدة الكبرى "Hypostyle Halls" التى كانت شائعة بمعابد الدولة الحديثة والتى يمكن اعتبارها النماذج الأولى التى اشتقت منها أسس الطراز البازيليكى

---

(1) Butler (A.J.):op.cit.vol.1 pp . 5 : 7 .

" وقد نقل السيد ميلر رايه هذا عن G.Gilbert Acott "فى كتابه Essay on the History of english churches or

(2) Badawy (A) :"art copte .les enfluences Egyptienns". In bublication de la societe d'archeologie copte(le caire 1949) pp. 5: 7

الرومانى[1] . كما يمكن اعتبار قاعة الاحتفالات بمعبد تحتمس الثالث بالكرنك هى صاحبة التأثير المبكر بين هذه الصالات[2] .

يضاف أيضا إلى ما سبق أن ثمة اختلافات بينه بين البازيليكات المصرية بعضها البعض فهى لا تتطابق فى مكوناتها الكلية كما أن جزيئاتها الدقيقة هى الأخرى موضع مفارقة . مما يثبت حقيقة معمارية مفادها أن العمارة المنقولة حرفيا لا تدوم كثيرا إذ تأخذ هذه العمارة فى الاتجاه إلى المغايرة نحو تلبية ما يناط بها ، ومن هذا المنحى تأتى عمليات المباينة المعمارية إذ إن لكل مجتمع ما يناسبه من العمارة التى لا تتناسب مع متطلبات غيره من المجتمعات وتتحكم فى هذه المباينة عدة أسباب بعضها اقتصادى وبعضها الآخر عقائدى وكذا جغرافى أو خططى ... أو أن جميعها متحد يقوم بعملية المغايرة المعمارية المذكورة.

يتضح مما سبق كم كان حجم الخلاف بين هؤلاء وكم كانت كثرة النظريات والآراء حول المصدر الأول للبازيليكا ، ويلاحظ فى بعض هذه الآراء – إن لم يكن أغلبها – أنها ذات انتماءات إقليمية فكل باحث يريد أن يكون لإقليمه الفضل فى ذلك الابتكار ؛ وبالطبع فقد أجاد كل منهم محاورة عقول قارئيه ، إلا أنه – بعد كل ما مضى – يمكننى القول بأنه بالفعل هناك تشابها كبيرا بين البازيليكا وصالات المعابد المصرية القديمة ، إلا أن هذا لا يمنع من أن البازيليكا المسيحية قد وردت إلى مصر ككنيسة عقب دخول المسيحية ، وبدأ استعمالها الفعلى كمقر كنائسى عقب الاعتراف الرسمى بالديانة المسيحية ،وهذا بالطبع لا يمنع من استقبال ملامح معمارية جديدة مع هذا الدين الجديد كما أنه من الوارد أن يترك لكل شعب حرية تصميم كنيسته حسبما يسمح به تاريخ عمارته وتطور مبانيه دون تأثير من هذا على ذاك أو من ذاك على هذا . وبذلك لن تفترق الأمور كثيرا ولن تتخبط الآراء فى أمر يصعب بت قرار بيِّن فيه أو إثبات رأى بدليل وقرينة .

---

(1) Haeny(G) :op.cit.pp.78 :80 .

(2) Ahmed (G) : op. cit. Pp. 95 : 97 .

التخطيط البيزنطى :

جاء هذا التخطيط فى جوهره ومظهره مخالفا للتخطيط البازيليكى ، فبينما كأن الشكل المستطيل أهم ملامح الكنيسة البازيليكية ، إذا بشكل الكنيسة فى هذا التخطيط مربعا بدلا من كونه مستطيلا ، وبينما كانت الأسقف الخشبية المسطحة والجملونية هى أهم وسائل التغطية فى الأسلوب البازيليكى إذا بأسقف هذه الكنائس - ذات التخطيط البيزنطى تعتمد على التغطية بالقباب وأنصافها والأقباء .

وكان نتيجة لاتخاذ هذه الكنائس الشكل المربع تخطيطا لها ، وتغطيتها بالقباب أن حل الإيوان المربع محل الجناح المستطيل - الذى كان يغلب على الشكل التخطيطى لأى من البازيليكات القديمة - وأصبح على كل جوانب المربع ممر قصير يغطيه قبو ، وبهذا أضحى مسطح الكنيسة على شكل الصليب بحيث يتجه النظر مباشرة فى الكنيسة البيزنطية نحو القباب بدلا من أن يتجه فى الكنيسة البازيليكية نحو الحنية الرئيسية" APSE"[1] وبهذا فقد اتخذت كنائس هذا الطراز من شكل الصليب نمطا لمجمل تخطيطها[2] .

ولعل من أبرز مميزات الكنيسة البيزنطية عامة كثرة استخدام الزخارف الداخلية والخارجية لا سيما تلك المنفذة بالفسيفساء والرخام والمستمده من موضوعات دينية مسيحية مأخوذة من القصص الإنجيلية وأمثلة هذا النمط الكنسى كثيرة خارج مصر ، ومنها كنيسة القديس فيتال برافنا فى شمال ايطاليا وكنيسة القديس مرقس بالبندقية ، كما أن كنيسة أيا صوفيا بالقسطنطينية[1] تتمثل فيها كل المعالم والمميزات الخاصة بهذا التخطيط البيزنطى إذ إن تخطيطها مربع الشكل

---

(١) سعاد ماهر : الفن القبطى - ص ٦٢ : ٦٣ .

(٢) مصطفى شيحة : "دراسات فى العمارة والفنون القبطية"-ص ٦١: ٦٢ وعنه انظر christa schug wille : "Art of the Byzantine World" .pp.108:113.

(٣) مصطفى شيحة : المرجع السابق - ص ٦٢.

يتوسط أضلاعه الصليب ويحيط بها أربعه إيوانات فى الجهات الأربعة والمساحة الوسطى مغطاة بقبة شاهقة ترتكز على أنصاف القباب فى الناحيتين الشرقية والغربية وتغطى كل من الإيوانين الشرقى والغربى ، كما ترتكز هذه القبة فى ناحيتها الشمالية والجنوبية على عقود متقاطعة تغطى أيضا مساحة الايوانين .

أما أمثلة هذا التخطيط داخل مصر فهى قليلة ، وكانت الأبحاث السابقة – لبحثى هذا – تنكر تماما وجود أمثلته بمصر وعلى الرغم من أن العلامة بتلر[1] أومأ إلى أن كنيسة القديسة بربارة تأخذ شكل الصليب مع ملاحظة عدم انضباط شكله إلا أنه تراجع فى النهاية وذكر أنها بازيليكية وليست بيزنطية .

ومن جانب الباحث فإنه لا يرى أي تشابه بين هذه الكنيسة والكنائس البيزنطيه وذلك على الرغم من تردد بتلر فى إدراج هذه الكنيسة أسفل قائمة التخطيط البيزنطى . لكنا إذا ما حاولنا إيجاد نماذج كنائسية تقترب من هذا التخطيط فى مصر ، فإننا لا نجد كنائس تتطابق مع المميزات العامة لهذا النمط المعمارى الكنائسى ، إلا أنه هناك بعض النماذج القليلة التى أخذت شيئا من مميزات هذا النمط ، ومن هذه الكنائس : كنيسة قلب بالنوبة وكذا كنيسة الكبانية شمال أسوان وكذا الكنيسة الواقعة جنوب جبانة الراعى بمارمينا بمريوط (شكل رقم ١٩) .

التخطيط القبطى :

لم يأت التخطيط القبطى من فراغ بل جاءت ملامحه من أسس التخطيط البازيليكى[2] وكذا البيزنطى ، فإن كان مجمل التخطيط القبطى يتميز بالاستطالة فهذه الميزة مستمدة من التخطيط البازيليكى ، أما كثرة استخدام القباب فقد جاءت من أسس التخطيط البيزنطى ، فأصبحنا بهذا نرى كنيسة مستطيلة ذات صحن مغطى بتسع قباب أو ما يقل أو يزيد عن هذا العدد ، وثلاثة هياكل

---

[1] لاحظ العلامة بتلر أنه يرتفع فوق اواسط شكل الصليب بهذه الكنيسة قبة شاهقة ضخمة على عادة القباب فى الكنائس البزنطية انظر Butler (A):op.cit.vo.1.pp: 16 :18 .

[2] مصطفى شيحة : المرجع السابق – ص٦٤ .

مغطاة[١] هى الأخرى بثلاث قباب ، وتتميز هـذه الهياكل الثلاثة بتساوى مساحتها[٢] تقريبا واحتواء كل منها على شرقية ومذبح خاص به ، وقد يزداد عدد هذه الهياكل ليصل إلى سبعة أو ما يزيد على ذلك فى أحيان نادرة[٣] .

لاحظ الباحث أن أغلب من تحدث عن هذا التخطيط لم يوضحوا كنهه أو يضربوا له الأمثال ، إنما اكتفوا بالوصف السابق وهو وصف مبهم لا يوضح حقيقة هذا التخطيط ، ويدع فرصا للخلط والتشويش ومن هنا فقد شرعنا فى تسليط الضوء على هذا النوع من التخطيطات الكنائسية .

لقد شاع هذا التخطيط فى كافة أنحاء مصر ، وهو القائم تخطيطه على شكل مستطيل للكنيسة يتضمن فى الشرق ثلاثة هياكل ممتدة من الشمال إلى الجنوب محتوية على شرقيات وتغطيها القباب ، ويفتح جميعها على الصحن الذى يتكون من أربعة أعمدة - فى بائكتين - تحمل عقودا تمتد من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب مشكلة بتقاطعها هذا تسعة مربعات يعلو كل مربع منها قبة . وغالبا ما يكون المدخل فى النهاية الغربية لكل من الجدارين الشمالى والجنوبى .

ولما كان هذا التخطيط يعتمد على القباب فى تغطياته المعماريه فقد آثر الباحث أن يطلق عليه اسم التخطيط ذى الاثنىْ عشرة قبة أو "التخطيط الاثنى عشرى" .

انتشر هذا التخطيط خلال (ق ١٨ ، ١٩ م) فى جميع أنحاء مصر إذ نجده فى كنيسة مارمينا بكفر الزيات وكنيسة مارجرجس بمحلة مرحوم بطنطا وكنيسة أبانوب بسمنود وكنيسة الشهيد تاوضروس بديسيا بالفيوم وكنيسة أبو سيفين بفيدمين بالفيوم ، وكنيسة دميان الخمسة وأمهم بمنيل شيحة بالجيزة وكنيسة تادرس بمنا الأمير بالحوامدية ، وكنيسة السيده العذراء بأبو فار بالعياط .

---

(١) الفريد بتلر : المرجع السابق - ص ٣٦ .

(٢) سعاد ماهر : المرجع السابق - ص٦٣ .

(٣) مصطفى شيحة : المرجع السابق - ص ٦٤ .

وكنيسة السيدة العذراء بأسكر مركز الصف ، وكنيسة العذراء أشنين النصارى بمغاغا وأيضا كنيسة بدير السنقورية غرب بنى مزار وكنيسة أبو سيفين بالطيبة غرب سمالوط ، وكذا كنيسة الأنبا بجول بتلة غرب المنيا وكنيسة الملاك غبريال بهور بملوى ، وكنيسة الملاك ميخائيل بدير الملاك بملوى أيضا ، وكنيسة الأنبا صرابامون الشهيد بديروط الشريف (انظر شكل ١٠ ، ١١، ١٢ ، ١٣)

ومن الملاحظ وجود تخطيط آخر يشبه هذا التخطيط إلا أنه يزيد فى عدد قبابه إلى ما يربو على عشرين قبة مثلما نجد فى كنيسة أبو مقار بأبى تيج ، كما أن هناك تخطيط آخر يتكون من ست عشرة قبة (٤×٤) مثلما هو الحال فى كنيسة الأنبا باخوميوس بادفو .

كما نجد تخطيطا آخر يقل فى عدد قبابه عن التخطيط السابق مثلما نجد فى كنيسة دير الجنادلة غرب أبى تيج حيث يتكون من تسع قباب .

ولعل العابر يسأل عن السبب فى تأخر ظهور هذا النمط التخطيطى الكنائسى القبطى إلى ما بعد ظهور المسيحية بحوالى ستة عشر قرناً ، فى حين أخذت الأنماط الأخرى فى الظهور اعتبارا من القرنين الرابع والخامس الميلاديين ؟ والإجابة على هذا التساؤل تتطلب البحث فى عدة محاور أولها : المحور التاريخى وما يرتبط به من أحداث وسياسات تجاه أهل الذمة فى مصر ومدى الحريات المتاحة فى إنشاء الكنائس ، أما ثانى هذه المحاور فهو المحور القانونى أو التشريعى ويعنى به القوانين التى تفرضها الشريعة الإسلامية تجاه عمليات الإنشاء أو الترميم الخاصة بالمبانى الدينية لأهل الذمة . وثالث هذه المحاور هو المحور الأثرى وهنا يبرز تساؤل آخر هو : هل أن ما اكتشف حتى الآن من عمائر كنائسية قبطية هو كل الأنماط أم أن هناك أنماط أخرى لم يتم اكتشافها بعد وعسى أن يكون هذا التخطيط واحد منها ؟ نعم إنه من شأن إجراء حفائر أثرية جديدة الكشف عن أنماط كنائسية لم تكن معروفة وعسى أن يكون للأقباط الفضل فى تخطيطها دون غيرهم ، كما لا ينكر دور المحاور الجغرافية أو الخططية والاقتصادية وتغيرات الطقوس العقائدية و كذا الخلافات المذهبية .

****

يرى الباحث بعد انتهائه من دراسة التخطيطات الكنائسيه القديمة المتعارف عليها ، عليه أن ينخرط الى دراسة تخطيطات أخرى تضاف الى سجل العمارة الكنائسية ، وقد اتبع فى دراستها تقسيمها الى جزأين كبيرين : عرف الأول بالتخطيطات الكنائسية غير التقليدية المتكررة وهو الذى يدرس لعمارة تخطيطات كنائسية تتميز عن التخطيطات المذكورة سابقا ويتكرر فى العديد من البلدان المصرية،بينما عرف الثانى بالتخطيطات الكنائسية غير التقليدية المتفردة وهو الذى يدرس لعمارة تخطيط كنسى يتمايز عن التخطيطات المذكورة فى الجزء الأول من هذا البحث لكنه متفرد وغير متكرر .

أولا : تخطيطات كنائسية غير تقليدية :-

على الرغم من اختلاف العلماء كثيرا فيما مضى إلا انهم اتفقوا فى حصر تخطيط الكنائس الأثرية فى الثلاثة أنماط الماضية ، إلا أن المرء منا إذا ما تنقل فى أنحاء مصر باحثا عن تخطيط الكنائس الأثرية فإنه لن يجد صعوبة فى إيجاد أنواع أخرى من تخطيطات الكنائس التى لا تندرج أسفل واحد من الأنماط الثلاثة السابقة ، بل إن الطراز الواحد من التخطيطات السابقة يمكن أن تتفرع منه عدة أنماط ، فمثلا التخطيط البازيليكى لا نجد له تخطيطا موحدا فى جميع حالاته فمرة نجد له دهليز غربى " narthex " وأخرى نجده خاليا منه ، ونجد مدخله - فى بعض أمثلته - بالجانب الشمالى والجنوبى وفى الأخرى نجده بالجانب الغربى ، أو قد توجد هذه المداخل فى جميع الجهات الثلاث السابقة إلا أنه نادرا ما نجدها بالجانب الشرقى . وكذا الحال فى باقى التخطيطات المحصورة كالقبطى والبيزنطى أيضا .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر فاننا نصادف أنواعا أخرى من التخطيطات لا نستطيع إدراجها أسفل نوع من الأنماط السابقة ومنها على سبيل المثال :-

١-الكنيسة ذات المربع الأوسط :-

ذلك التخطيط الذى يتكون من صحن مربع يتوسطه مربع من أربع زوايا بنائية فى الأركان تحمل قبة مركزية محمولة على حنايا ركنية ويوجد للصحن بابان فى الشمال والجنوب ويمتد الصحن من الجزء الأوسط فقط حتى نهاية المبانى ، وغالبا

ما يوجد فى الركن الجنوبى الغربى حجرة ، كما يوجد فى الركن الشمالى سلم ، أما الهيكل فى هذا النوع من التخطيطات الكنسية فهو - كعادته - فى الجانب الشرقى من الكنيسة متخذا شكلا مستطيلا غالباً،كما يوجد على جانبيه حجرتان فى الشمال والجنوب متصلتان بممر خلف حائط الهيكل ، ولعلنا نجد هذا التخطيط كأوضح ما يكون فى كنيسة القديس " رافائيل" بتاميت بالنوبة (ق١٢ : ١٣م) ، وكنيسة فى شايما اماليكا (ق١٢م) وكنيسة أخرى فى مضيق النوبة ، وكذا فى الكنيسة الشمالية فى عبد الله ترقى بالنوبة (ق٩ : ١١م) وكنيسة نورى بالنوبة[١]. ومن الملاحظ أن هذا النوع من التخطيطات الكنائسية قد شاع انتشاره بكثرة فى النوبة بصعيد مصر دون غيرها(شكل ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩)

٢- الكنائس المنزلية : -

يعد تخطيط الكنائس المنزلية أو المنازل الكنسية- الذى كشفته الحفائر الأثرية الحديثة - تخطيطا كنائسيا غير تقليدى إذ تحتوى هذه المنازل على غرفة بها شرقية واضحة المعالم ضمن مفردات عمارتها ويستدل من تخطيطها وما حظيت به من اهتمام معمارى وزخرفى أن هذه الغرفات قد استخدمت ككنائس ونجد مثل هذه المنازل الكنائسية فى الوحدات المعمارية التى تم الكشف عنها فى أطلال المدينة الأثرية الواقعة إلى الشمال من دير أبو حنس والمسماة خطأ" أنصنا " [٢]

وتتكون هذه الوحدات من مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب يتوسطها فناء مربع التخطيط كان مخصصا للدواب[٣] وله بابان : أحدهما شمالى والآخر جنوبى ، يفضى الشمالى منهما إلى حجرة مستطيلة - تمتد من الشمال إلى

---

(١) صموئيل السريانى : المرجع السابق -ص ٤٦٤ ، ٤٧٢ .

(٢) أشرف سيد البخشونجى : دراسه أثرية للكنائس الباقية بمدينة ملوى فى العصر الإسلامى - رسالة ماجستير غير منشورة-جامعة القاهرة -كلية الآثار ١٩٩٥ -ص ١٧ : ١٩ .

(٣) محمد نجيب محمود ، أشرف سيد البخشونجى : تقارير حفائر (٩١ :٩٢ ، ٩٣ : ١٩٩٤) بمنطقة اثار انصنا [كذا] بناحية دير ابو حنس ملوى - هيئة الاثار المصرية-قطاع الآثار الاسلامية والقبطية ومرفق بها التخطيطات الهندسية (plan) وكذا اللوحات والصور الفوتوغرافية الملونة(platex)

الجنوب – يوجد بجانبها الشرقى شرقية واضحة المعالم كانت تحتوى على وجوه لعدة قديسين ، إلى الغرب من هذه الغرفة ذات الشرقية وفى نفس امتدادها يوجد المدخل والسلم الصاعد إلى الطابق العلوى وكذا حجرتان مستطيلتان صغيرتان تفتحان ببابين فى جداريهما الشرقى على الحجرة السابقة .

أما الباب الجنوبى من هذا الفناء فهو يفضى إلى حجرة أخرى مستطيلة بها شرقية واضحة المعالم أيضا في جدارها الشرقى إلا أن مساحتها تقل عن السابقة كما أن هذه الحجرة تمتد من الشرق إلى الغرب وليس من الشمال إلى الجنوب كما توجد بعض الملحقات المعمارية الأخرى إلى الغرب من هذه الحجرة و كذا بعض الحجرات الصغيرة الخاصة بالمنزل .

ولن تدهش الباحثين ظاهرة احتواء المنازل العتيقة علي غرفات كنائسية إذا ما علموا أن أغلب الاجتماعات ذات الأغراض الكنائسية كانت تعقد في المنازل قبل الاعتراف بالمسيحية كما أن هذه المنازل كانت تحتوى على كنائس و يدلل على ذلك ما ورد فى رسالة رومية " سلموا على برسكلا واكيلا ... وعلي الكنيسة التى فى بيتهما " [١].

والشاهد أن ظاهرة إلحاق حجرات كنيسة بالمنازل لم تكن أمرا تفردت به هذه المنطقة[٢] دون غيرها ، بل إن الحفائر التى أجرتها هيئة الآثار المصرية بمنقباد " أسيوط" أثبتت وجود أنماط شبيهة بهذه الكنائس المنزلية أو المنازل الكنسية ....، كما أن جبانة البجوات كان بها حجرات كنسية ملحقة بمزاراتها أيضا وهذه الكنائس عبارة عن مقاصير شبيهة بالكنائس[٣] إلى حد كبير مثل مزار رقم (٩ ،

---

[١] رسالة رومية ١٦ : ٥

[٢] انظر ص ١٧ من هذا البحث .

[٣] جروسمان (بيتر) :بعض الملاحظات على جبانة البجوات الرومانية المتأخرة–ترجمة إبراهيم عبد الرحمن عبد الله –ص ٤٠٢ –الملحق الثالث بكتاب جبانة البجوات لأحمد فخرى ،ترجمة : عبد الرحمن عبد التواب .

٦٩ ، ٩٠ ، ١١٧)[١] ، كما أن المزار رقم (٢٤) ملحق بـه كنيسة واضحة المعالم ، ومن الواضح أن مهمة هذه الكنائس كانت تنحصر فى إقامة طقوس دينية عقب الدفن فقط .

كما تم الكشف عن كنائس صغيرة ملحقة بمقصورات دفن صغيرة وجد بها العديد من الجثث فى أبى مينا . والأهم - مما مضى - أنه توجد فى أبى مينا أيضا - ذلك المركز الكبير للحج فى شمال مصر - كنيستان ملحقتان بمنزل صغير حسبه "جروسمان" [٢] منزلا للكاهن المسئول عن مناسبات الطقوس المعتادة فى الكنيسة .

وهكذا فقد بات من الواضح أن تلك المنازل الكنسية بهذه المدينة التاريخية العظيمة لم تكن بدعا أو تفردا بها دون غيرها ، بل يمكن القول بأن مثل هذه الكنائس الملحقة بالمقابر والمنازل كانت النواة الأولى التى نمت منها المنشأة الكنسية الضخمة البنيان ، خاصة وأن جميع الأمثلة السابقة تعود إلى الفترات الأولى من تاريخ المسيحية .

ولا ضير فيما ذهبت إليه سابقا إذ كانت الطقوس المسيحية الأولى - قبل الاعتراف الرسمى بالديانة المسيحية- تجرى فى الحجرات الأكثر شهرة ورفعة بالمنازل الخاصة[٣] .

٣- الكنيسة رباعية الحنيات : -

ويصادفنا كذلك تخطيط آخر يمكن أن نطلق عليه التخطيط رباعى الحنيات ، ويطلق المستشرقون عليه اسم "تتراكونش" ويعتمد تخطيطه على بهو مربع تقوم أركانه على عضادات صليبية الشكل ، أما العضادات الأخرى فتأخذ شكل حرف "L" ونجد فى الاتجاهات الأربعة أنصاف قباب على حائط نصف دائرى داخله صف من

---

(١) أحمد فخرى : المرجع السابق -ص٤٣ ، ش ٩٠ ، ص ١٧٧ ،ص ١٨٤ -ش ١٠٥ ،ص ١٩٣ ش١٠٧ .

(٢) جروسمان (بيتر): أبو مينا دليل عن مركز الحج التاريخى"معهد الآثار الالمانى / القاهرة ١٩٨٦) ص ٢٢ .

(٣) Grosmann (p) : op. Cit.vol. 2 p.355 .

الأعمدة لنصف دائرة بنفس المركز ، أما الحنية (الشرقية) فهى كالعادة فى الجانب الشرقى ويمتد أمامها عادة مكان المرتلين ، وعادة ما يوجد المدخل فى الجانب الغربى ، ونجد هذا التخطيط كأوضح ما يكون فى كنيسة مدافن مارى مينا (ق ١٦ م) وكذا الكنيسة الشرقية بمارى مينا بمريوط [١]

٤- الكنيسة ذات القبة الوسطى :

كما يوجد تخطيط آخر يقوم أساسا على صحن أوسط مربع مغطى بقبة ضخمة قائمة على ثمان دعامات وكوابيل تستقر على الحائط البحرى والقبلى وأكتاف المثمن ، وكالعادة يوجد الهيكل فى الجانب الشرقى - إلى الشرق من القبة ، وغالبا ما يوجد فى الجانب الجنوبى حجرتان ، وعادة ما يكون المدخل فى الجانب الغربى . ولعلنا نجد هذا التخطيط ماثلا فى دير الأنبا أرسانيوس بجبل طرة (دير القصير) وكذا فى كنيسة قلب بالنوبة (ق١٢ : ١٣م) كما نجد هذا التخطيط قد انتشر فى بعض كنائس الوجه البحرى ، ويرجح أن يكون هذا التخطيط قد انتشر فى (ق ١٢ / ١٣م) حسب تاريخ الكنيسة السابقة (شكل ١٤ ، ١٥)

٥- الكنيسة ذات المربعات المتتالية :-

وهناك تخطيط آخر قليل العدد يعتمد على تقسيم الكنيسة إلى بائكات مربعة تمتد من الشرق إلى الغرب ، وعادة ما يوجد المدخل فى الجانب الشمالى ، وتتخذ الكنيسة - فى هذا التخطيط - شكلا مستطيلا ونجد أمثلة من هذا التخطيط فى كنيسة غرب البازيليكا بمريوط ، وقد اكتشفت هذه الكنيسة فى حفائر هيئة الآثار المجراة عام (١٩٨٧م) ، كما نجد هذا التخطيط ماثلا فى كنيسة دير الديك شرقى الروضة بملوى ، وكذا فى كنيسة دير السريان الواقعة بين المنشوبيات (شكل ١٦ : ١٧)

٦- الكنيسة ذات التخطيط الصليبى :-

يقصد بالكنيسة ذات التخطيط الصليبى الكنيسة التى تتخذ شكل الصليب فى مجمل عمارتها ، أي أن الشكل الخارجى " out Lines" يكوّنة ضلعان متقاطعان

---

[١] انظر تخطيط هذه الكنيسة فى صموئيل السريانى : المرجع السابق - ص ٣٨ ، ٣٩ .

يشكل الجزء المتقاطع مربعا هو قلب الكنيسة من الداخل ، ونرى فى هذا رمزية لقيمة المبنى الكنسى فى العقيدة المسيحية ، وكذا أهمية الصليب فى هذه العقيدة ، فهذا الشكل الصليبى جعل الكنيسة كالقلب فى جسد المسيحية التى هى الصليب ، وجعل الصليب هو جسد المسيحية الكلى التى هى الكنيسة .

أما الأمثلة الصريحة من كنائس هذا النمط المعمارى الكنسى فنجدها فى الكنيسة التى كشفت عنها حفائر زكى سعد التى أجراها فى حلوان ، وهذه الكنيسة تتكون من أربعة أجنحة تشكل صليبا حول المربع الأوسط المغطى بقبة منخفضة ويرجع البعض هذه الكنيسة إلى فترة حكم عبد العزيز بن عبد الملك بن مروان (٦٨٤ : ٧٠٥ م) ، كما توجد كنيسة أخرى ذات تخطيط صليبى فى دنقلة القديمة بالنوبة وتؤرخ هذه الأخيرة بالفترة ما بين القرنين الثامن والتاسع الميلاديين .

تتشابه أيضا مع الكنيستين السابقتين كنيسة الملاك بتساميت بالنوبة (ق٩م) وكنيسة دير الملاك بقامولا جنوب نقادة (ق١٤م) شكل (١ :٤) .

ويلاحظ استمرارية هذا النمط من عمارة الكنائس فى الفن القوطى وكذا الرومانسكى بأوروبا[1] . (شكل ٢٠)

٧- الكنيسة ذات التخطيط الإخميمى : -

التخطيط الإخميمى للكنيسة هو أحد التخطيطات الكنسية التى ظهرت فى اخميم بصعيد مصر فى العصر العثمانى وتفردت به دون غيرها من البلاد المصرية الأخرى وموجز ملامح هذه الكنيسة أنها تتكون من ثلاثة هياكل عند النهاية الشرقية للكنيسة تحيط بها حجرتان جانبيتان جهتى الشمال والجنوب يمر خلفها جميعا - أي خلف الهياكل والحجرتين الجانبيتين - ممر ضيق اصطلح على تسميته بالضفير ، وتتقدم الكتلة السابقة كتلة الصحن المكون من مستطيل يمتد من الشمال إلى الجنوب تقسمه أربعة أعمدة فى نفس الاتجاه إلى خورسين مستطيلين أيضا يمتدان بنفس الاتجاه كل منهما مقسوم أيضا إلى أربع مناطق مربعة أو اكثر تشكلها العقود الممتدة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب مرتكز

[1] يري هذا التخطيط واضحاً في العمارة الكنائسية الاوروبية عبر مراحلها الفنية و الزمنية المختلفة اذ يري مانلا في كنيسة سانت سرنان الرومانسيكية (١٠٨٠: ١١٢٠م) و هي علي هيئة صليب لاتيني ينتهي الضلع الاطول فية بمصلي نصف دائري ، و كذا في كنيسة نوتردام القوطية بباريس (١١٦٣: ١٢٥٠م) و ايضا كتدرائية فلورنس بإيطاليا (١٢٩٦م) و هي ايضا علي هيئة صليب لاتيني وكذلك يري هذا التخطيط واضحا في في كنيسة القديس لورنزو (١٤٢١: ١٤٦٩م) بفلورنس بايطاليا ايضا : انظر : نعمت اسماعيل علام : الفنون الاوروبية في عصر النهضة ص ٢٠، ٢٧، ٢٩، ٦٥ . و من الواضح حدوث تغيرات كثيرة علي التخطيط البازيليكي حتي أنه اقترب من " التخطيط الصليبى " إلا أن أسس البازينيكيات القديمة ما زال فحواها موجودا فى الأمثلة السابقة وذلك من حيث وجود الشكل البازيليكى القديم للهيكل والصحن بأجنحته وكتلة المدخل وإستطالة المحور الشرقى الغربى.

على عمد الصحن الوسطى وجدران الكنيسة وكذا دعامات الهيكل تغطى القباب هذه المناطق المربعة وهى قباب مشيدة من الآجر شأنه باقى عمارة الكنيسة (انظر شكل ٢١)

تؤرخ كنائس هذا النمط بالربع الأخير من القرن الثامن عشر الميلادى حسبما نصت عليه آخر الأبحاث الوثائقية الدارسة لعينة من كنائس هذا النمط المعمارى الكنسى[١] ، وتعد كنيسة دير الملاك بالسلامون شرق اخميم وكنيسة دير العذراء بالحواويش بأخميم وكذا كنيسة دير مار جرجس الحديدى جنوب اخميم ، خير أمثلة توضح عمارة هذا النوع من الكنائس .

الملاحظ من خلال الحصر السابق لأنماط وتخطيطات الكنائس غير التقليدية المتكررة أن هناك كنائس غير تقليدية متكررة إلا أنها اقليمية ومثال ذلك الكنيسة ذات المربع الأوسط التى انتشرت فى النوبة دون غيرها وكذا الكنيسة رباعية الحنيات التى تكررت فى مارمينا بمريوط فقط وأخيرا هذا التخطيط الاخميمى للكنيسة الذى ساد فى اخميم دون سواها .

التخطيطات الكنائسية غير التقليدية المتفردة :

نأتى إلى دراسة نوع آخر من التخطيطات الكنائسية يختلف عن التخطيطات المدروسة سابقا فى كونه غير تقليدى لكنه متفرد غير متكرر . والحق أن هذا النوع الأخير تشخصه نماذج وأمثلة كثيرة سوف نقوم باختيار عينات منها للتدليل على نوعها :

١- كنيسة الأنبا رويس بالأنبا رويس بالعباسية :

تتكون هذه الكنيسة من ثلاث قباب : واحدة تعلو الهيكل الأوسط والثانية تعلو الحجرة الجانبية القبلية الخاصة بالسيدات وثالثة فوق الحجرة الشمالية التى يوجد بها سلم ينزل إلى مدفن القديس الأنبا رويس وهو الواقع أسفل الهيكل الرئيسى .

---

[١] محمد عبد الستار عثمان : " أضواء جديدة على عمارة دير الملاك ميخائيل بشرق أخميم من خلال نص عربى بمخطوط قبطى - الفن وتحديات العصر -المؤتمر العلمى السادس -المجلد الرابع أبريل ١٩٩٤ -جامعة المنيا-كلية الفنون الجميلة -ص ٢٠٠ هامش ١٠

ويتقدم الهيكل والحجرتين صحن بامتدادها وهو مستطيل الشكل وتفتح عليه مداخل الكنيسة . ويلاحظ اقتراب تخطيط هذه الكنيسة من تخطيط الكنيسة ذات المربعات المتتالية .

٢- الكنيسة الصغيرة بالبجوات :-

ولعل تخطيط الكنيسة الصغيرة الموجودة فى جبانة البجوات مخالفا أيضا للمعتاد من التخطيطات ، حيث أنها تتكون من مدخل منكسر - على غير المعتاد فى تخطيطات الكنائس - يؤدى إلى الصحن غير المنتظم الذى يتجه من الشمال إلى الجنوب فى بائكتين من الأعمدة ، وتوجد فى نهايته الشمالية حنية الهيكل ، وإلى الشمال من الهيكل توجد حجرة مستطيلة ، ومن الملاحظ وجود نوافذ ضيقة تشبه إلى حد كبير المزاغل فى الجدار الشرقى ، والكنيسة مغطاة بالقباب الضحلة والقبوات وهى تعود إلى القرن السادس الميلادى[١] .

٣- كنيسة الأنبا صموئيل بدير الأنبا صموئيل بمغاغا :-

أيضا كنيسة دير الأنبا صموئيل الواقعة أسفل الحصن المربع القديم للدير الكائن إلى الشمال الغربى من مدينة مغاغا . حيث تتكون من مجموعة درجات تقود إلى صالة مدخل صغيره مغطاة بقبو وتؤدى صالة المدخل هذه إلى الصحن الذى يتكون أيضا من صالة صغيرة مغطاة بقبو يمتد من الشمال إلى الجنوب ، وإلى الشرق من هذه الصالة يوجد الهيكل الذى يفتح على الصالة ببابين ، أحدهما فى النهاية الشمالية والآخر فى المنتصف تقريبا ، والهيكل مغطى بقبو أيضا ويوجد به مذبح ، وترجع هذه الكنيسة إلى القرن السابع الميلادى .

٤- كنيسة الشهيد فيلوثاؤس بادفا :-

ومن التخطيطات غير المتكررة أيضا تخطيط كنيسة الشهيد " فيلوثاؤس " بادفا سوهاج إذ تحتوى على بابين فى الحائط الغربى ، البحرى منهما يؤدى إلى خورس الرجال ، القبلى يفضى إلى خورس النساء والصحن مقسم إلى عشر(بواكى) بواسطة أربعة أعمدة فقط ، وإلى الشرق من الصحن توجد أربعة هياكل متساوية

---

(١) احمد فخرى : " الصحراء المصرية جبانة البجوات فى الواحة الخارجة" - ترجمة عبدالرحمن عبدالتواب - مراجعة د. آمال العمرى (١٩٨٩م)- ص ١٢١:٢٢ المسقط الافقى وقطاعات المزار رقم ٢٥ .

توجد بينها فتحات معقودة ، وتحتوى الحجرة الجنوبية على مبنى المعمودية وهى الحجرة الخامسة التى تلى الهياكل الاربعة ، والملاحظ أن حنيات الهياكل (الشرقيات) هنا ليست مستديرة ولكنها مستطيلة الشكل . وهذه الكنيسة تعود إلى (ق١٨ : ١٩م) وإن كانت منطقة الهياكل تظهر قدما وأصالة أكثر مما يظهره الصحن .

٥ - كنيسة الأنبا هدرا بأسوان :-

وتندرج أسفل قائمة الكنائس غير النمطية أيضا كنيسة دير الأنبا هدرا بأسوان[١] وهى الواقعة غربى النيل شمال قبر أغاخان ، وهيكل هذه الكنيسة يتكون من مربع تغطيه قبة قائمة على حنايا ركنية ويوجد على جانبه البحرى والقبلى والشرقى أنصاف قباب محمولة على كوابيل أيضا .

أما صحن هذه الكنيسة فيتكون من قبتين متجاورتين محمولتين على كوابيل محمولة بدورها على أكتاف تشكل مثمنا ويوجد على جانبى القباب الوسطى جناحان مغطيان بقباب منخفضة وقبوات فى شكل غير منتظم ، ويقع مدخل هذه الكنيسة فى الجانب الشمالى.وترجع المبانى الأصيلة فى هذه الكنيسة إلى(ق ١١م).

ليست الأمثلة المذكورة سابقا هى كل أمثلة الكنائس غير التقليدية المنفردة ، بل ثمة كنائس أخرى كثيرة من هذا النوع كالكنيسة الموجودة فى سديجنا بالنوبة وكذا كنيسة الست دميانه بدير الانبا سلامون بالقصر والصياد نجع حمادى .....

٦- الكنائس الكهفية :-

تعد الكنائس الكهفية أو الكهوف الكنائسية أيضا من التخطيطات الكنائسية غير التقليديه المنفردة . ولعل مرجع تفردها أنها خططت وفق المتاح من المساحة الكهفية التى يصعب فيها تغيير الاتجاهات والزوايا وتعديل الانحرافات ، كما أن هذا النوع من الكنائس غالبا ما كان يجبر المعمار على اتباع مفروضات غير قابلة للتحويل ، فأتت كل كنيسة منها حسب ظروف موقعها ومكونها الصخرى وكذا اتجاه مدخلها أى فتحتها ، ومن هذه الكنائس الكهفية على سبيل المثال : كنيسة

---

[١] صموئيل السريانى : المرجع السابق -ص ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

دير الأنبا بولا بالبحر الأحمر وكنيسة دير يوحنا الدرجى فنار الـــــــدرج بـــالبحر الأحمر وكنيسة دير العذراء بجبل الطير ومغارات المتوحدين بدير الديك بالشـــــيخ عبادة بملوي ومغارات المتوحدين بجبل دير البرشا وجبل جنوب البرشا ومغـــارات وادى عنية بدير الأنبا أنطونيس بالبحر الأحمر وكنسيـــة ديـــر القصـــير شـــــرق القوصية ودير الأمير تادرس بينى شقير منفلوط وكنسية ديـــر مارينـــا المعـــــلق بأبنوب وكنيسة دير ريفا الصخرية بجبل درنكة .....

****

وقد تبين لنا من خلال هذه الدراسة " لتخطيط الكنيسة القبطية " عدة نتائج منها :-

-التوصل إلى تنميط أخر غير التنميط المعماري لتخطيط الكنسية هو التنميـــط أو التصنيف الزمني (وهو القائم على التطور التاريخي لعمارة الكنيسة)

-توضيح السمات المميزة لكل حقبة من حقبات التنميط الزمني المذكور .

-تقسيم الأبنية البازيليكية إلى ثلاثة أنواع متمايزة مع توضيح السمـــات المميـــزة لكل منها .

- عرض جميع المصادر التي يحتمل قدوم التخطيط البازيليكي منها .

- التوصل إلى تخطيط كنسي مصري يتبع التخطيط البيزنطي وذلك بعـــد إنكـــــار الأبحاث السابقة وجود نماذج من هذا التخطيط في مصر .

- توضيح الحديث عن التخطيط القبطي للكنيسة وإيجاد أمثلة موضحة لـــه وكـــذا إطلاق اسم " التخطيط الاثنى عشري " عليه استنادا إلى شكله المعماري .

- إبراز الأسباب المتعلقة بتأخر ظهور تخطيط مصري خالص للكنيسة إلى ما يقرب من العصر العثماني تقريبا .

-حصر سبعة أنواع من التخطيطات الكنائسية تضاف إلى الثلاثة أنواع المعروفـــة والمصنفة سابقا . وهذه التخطيطات الكنائسية السبعـــة هـــى ما أدرجهـــا الباحـــث تحت عنوان " تخطيطات كنائسية غير تقـــليدية متكررة " وبهـــذا يصبـــح عـــــدد التخطيطات الكنائسية المصنفة عشرة تخطيطـــات بـــدلا من ثلاثة ، وهـــذا العـــــدد الأخير هو ما توقف عنده البحث منذ سنوات كثيرة .

-تصنيف التخطيطات الكنائسية غير التقليدية المتكررة إلى نوعين أحدهما إقليمي والأخر منتشر في أماكن متفرقة من مصر .

-استخدام التخطيطات الكنائسية — التي كشفتها أعمال الحفر الأثـــرى خـــلال السنوات العشر الأخيرة من الألفية الثانية — في التدليل على انتشـــار بعـــض أنواع التخطيطات غير التقليدية المتكررة في مواقع كثيرة ، وهذه التخطيطات هى :

الكنسية المنزلية — الكنيسة ذات القبة الوسطى — الكنيســة ذات المربعـــــات المتتالية — الكنيسة ذات التخطيط الصليبي .

-حصر تخطيطات كنائسية شاذة لا تخضع لأى من التخطيطات العشرة الكنائسيـــة سواء التقليدى منها أو غير التقليدي .

-صعوبة إخضاع عمارة الكنيسة المصرية لحصر محدود من التخطيطات أو حتـــى وضع حدود واضحة لمعالم معمارية كنائسية تخضع لها الكنسية القبطية .

-ابتعاد المعمار القبطي عن الالتزام بنمط تخطيطي أو طراز معماري هندســـــي للكنيسة ، كما اتضـــح أيضا أنه لم يلزم نفسه أبـــدا بتقاليد معـــمارية كنسية صارمة تحد من عبقرية

-أوضحت هذه الدراسة أيضا أن للبيئة ومتطلباتها وكذا شروط الطقس الكنســـي وطبيعة العقيدة واختلاف الملة (المذهب) تأثيـــر كبيـــر على تخطيط الكنيسة ، كما لا ينكر دور العوامل الأخرى ومنها العوامـــل الاقتصاديـــة والاجتماعية وسياســـة الحكومة المعاصرة تجاه الكنسية .....

-توقع اكتشاف مباني كنائسية أخرى ذات تخطيطات وأنماط مختلفة إذا ما عمـــل القائمون بعمليات الحفـــر الأخرى على البحـــث والتنقيب عن بقايا العمائر الكنائسيـــة في المواقع والطبقـــات التي تعـــود إلى الفتـــرة المبكـــرة مـــن تاريـــخ المسيحيـــة وما تلاها ، ولم يتوقفـــوا عنـــد حد البحث عن الآثار المنقولة وإهمال بقايا الآثـــار المعمارية ، خاصة تلـــك العـــمائر الكنائسيـــة التي تعـــلو طبقة الآثـــار المصريـــة القديمة .... أو حتى تلك الأخرى التى توجد أسفل طبقة الآثار الإسلامية .

****

قائمة المراجع :-

أولا : المراجع العربية

أشرف سيد محمد البخشونجي (دكتور) : " كنائس ملوي الأثرية : دراسة أثرية معمارية " دار نهضة الشرق (١٩٩٦م) .

جروسمان (بيتر) : " بعض الملاحظات على جبانة البجوات الرومانية المتأخرة " — ترجمة إبراهيم عبد الرحمن عبد الله — الملحق الثالث لكتاب جبانة البجوات لأحمد فخري — ترجمة ١-

أ- عبد الرحمن عبد التواب — مراجعة د. أمال العمري — هيئة الآثار المصرية (١٩٨١م) .

جروسمان (بيتر): " أبو مينا دليل عن مركز الحج التاريخي " — القاهرة (١٩٨٦) .

(رؤوف حبيب (دكتور) : " تاريخ الرهبنة والديرية في مصر وآثارهما الإنسانية على العالم " مكتبة المحبة — (بدون تاريخ).

سعاد ماهر محمد (دكتور) : " الفن القبطي " — الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية (١٩٧٧م) .

السيد الباز العربي : " مصر البيزنطية " دار النهضة العربية — (١٩٦١م) .

صموئيل تاوضروس السرياني : " الأديرة المصرية العامرة " الطبعة الأولى — (١٩٦٨م) .

: " عمارة الكنائس والديرة الأثرية في مصر " بدون تاريخ .

محمد عبد الستار عثمان (دكتور) : " أضواء جديدة على عمارة دير الملاك ميخائيل شرق أخميم من خلال نص عربي بمخطوط قبطي " — الفن وتحديات العصر — المؤتمر العلمي السادس أبريل ١٩٩٤م—جامعة المنيا— كلية الفنون الجميلة .

محمد نجيب محمود ، أشرف سيد محمد البخشونجي : " تقارير حفائر (٩١ : ١٩٩٢ ، ٩٣ : ١٩٩٤م) بمنطقة آثار أنصنا (كذا) ناحية ديرأبو حنس بملوي " — هيئة الآثار المصرية — قطاع الآثار الاسلامية والقبطية .

مصطفى عبد الله شيحة (دكتور) :" دراسات في العمارة والفنون القبطية " — هيئة الآثار المصرية — (١٩٨٨م) .

ثانيا : الرسائل العلمية :-

أشرف سيد محمد البخشونجي :" دراسة أثرية للكنائس الباقية بمدينة ملوي في العصر الإسلامي " رسالة ماجستير مخطوطة — جامعة القاهرة — كلية الآثار — ١٩٩٥م .

_____ :" دراسة أثرية للكنائس الباقية بمصر الوسطى خلال العصر الإسلامي " رسالة دكتوراه مخطوطة — جامعة القاهرة — كلية الآثار — ١٩٩٨م .

ثالثا : المراجع الأجنبية :-

Apolleng – Ghettl, (B.M.):" 11force la Basillica Sarverlnz de leptis Magna " – Rome (1976).

Badawy, (A.) : "Art Copte . les enfluences Egyptienns," Bublication de la societe d' archeologie copte. Le Caire (1949).

Calza (G.) and Becotti (G.) :" ostia" Rome (1954)

Christa schug wille :" Art of the Byzantine world."

Deichmann, (F.W.) :" Basilika " : reallexikon fur antike and christenium. (1950)

Delvoye (C.) :" Basilika" Reallexikon der Byzantinischen 1(1966).

Dyggve (E.) : " Basilika discoperta." Atti iv congresso internazionale Archeologia christiana (1940)

Galal (A.) :" The continuity of the ancient Egyptian style in the coptic architecture and art. " a research for Doctor, Cairo University, Faculty of archeology, department of Egyptplogy (1986).

Grossmann, (p.) :" Atrium " in the coptic encyclopedia, vol.1. PP. 196:197

_____ :" Basilica." In the coptic encyclopedia, vol.2. 353:354.

_____ :"Church architecture in Egypt" Coptic encyclopedia, vol . 2 . P. 554.

Haeny (G.) :" Basilikale Anloge in der Agyptischen baukunst deneuen Reiches. Beitrae zur Agyptischen bauforscung and Alter Tiems kunde Reft. Wiesbaden. (1970).

****

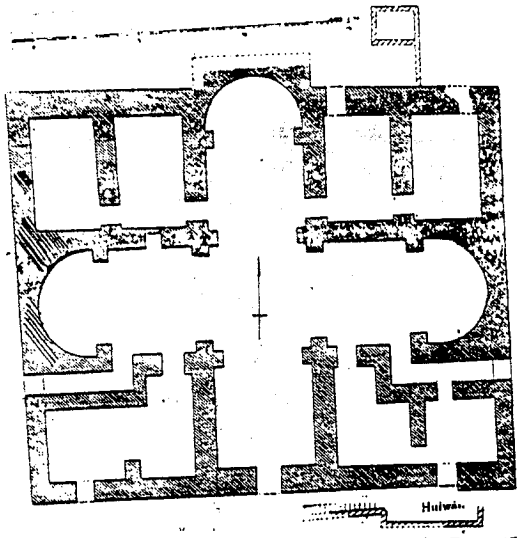

(١) مسقط أفقى لكنيسة صليبية التخطيط مكتشفة بحلوان . (٦٨٤:٧٠٥م)
(عن صموئيل السريانى)

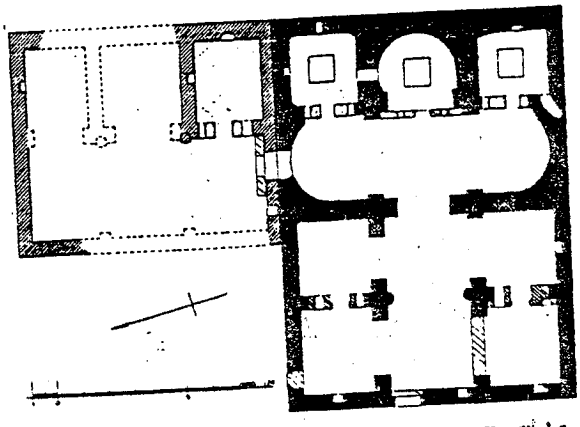

(٢) مسقط أفقى لكنيسة دير الملاك بقامولا جنوب نقادة . ق ١٤م
(عن صـــــموئيل السريانى)

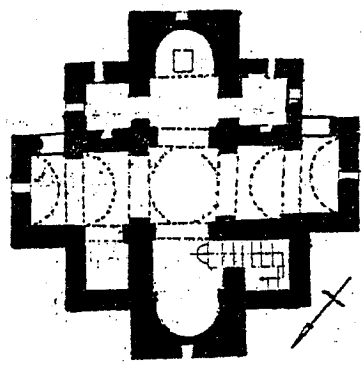

(٣) مسقط أفقى لكنيسة الملاك بتاميت بالنوبة . ق٩م (عن صموئيل السريانى)

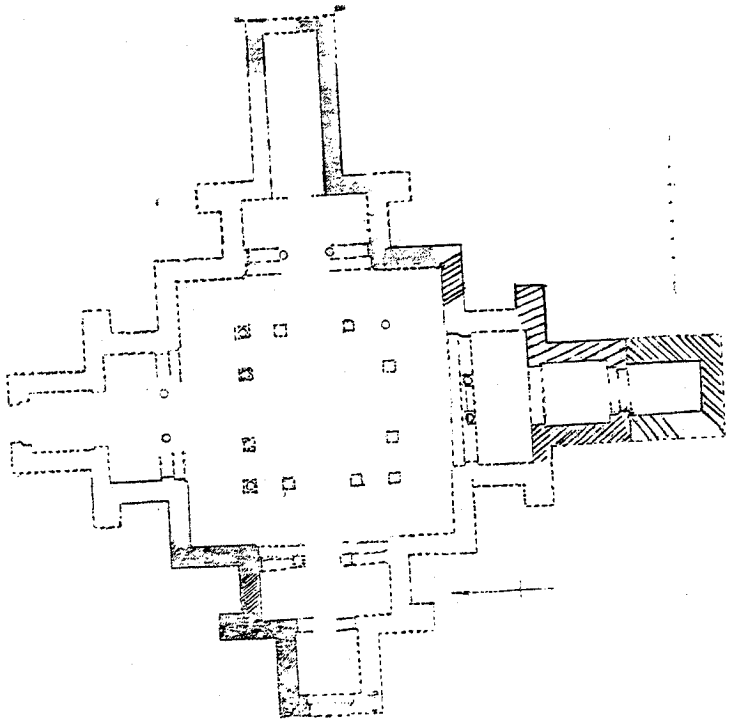

(٤) مسقط أفقى لكنيسة دنقلة القديمة بالنوبة ق ٨ : ٩م . (عن صموئيل السريانى)

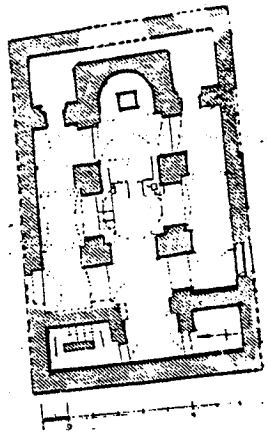

(٥) مسقط أفقى للكنيسة الشمالية فى عبد الله نرقى بالنوبة.ق٩:١١م

(عن صموئيل السريانى)

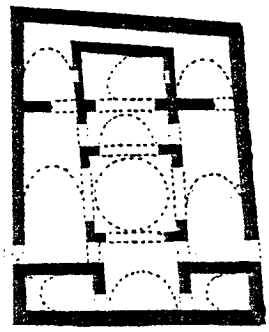

(٦) مسقط أفقى لكنيسة فى مضيق النوبة .

(عن صموئيل السريانى)

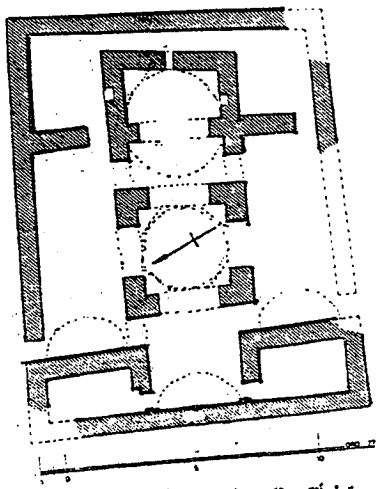

(٧) مسقط أفقى لكنيسة شايما أماليكا . ق١٢م

(عن صموئيل السريانى)

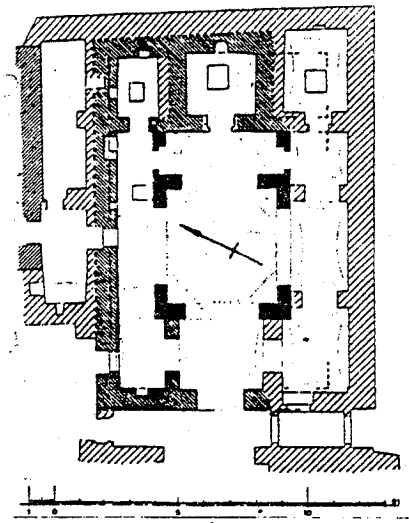

(٨) مسقط أفقى وقطاع لدير الفلاخورى بأصفون بإسنا . ق١٢م
(عن صموئيل السريانى)

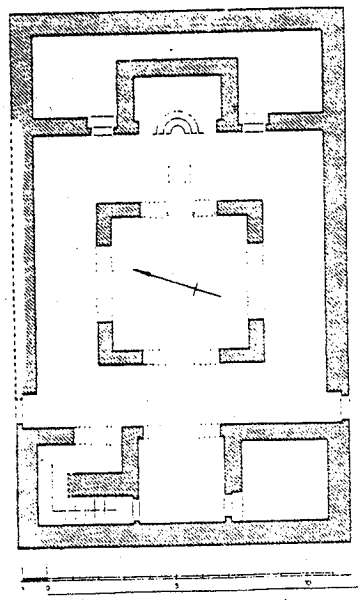

(عن صموئيل السريانى)

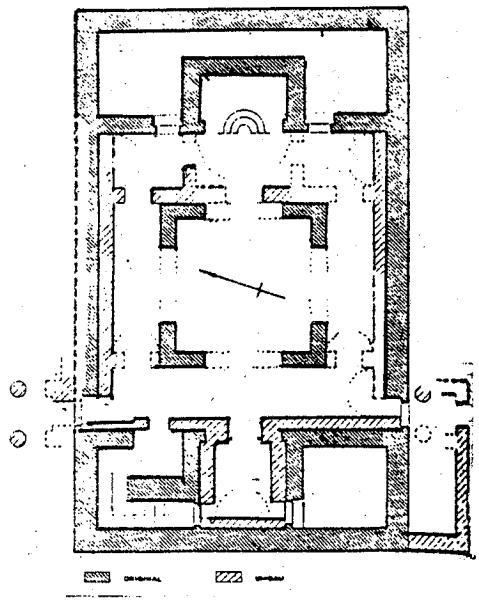

(٩) مسقط أفقى لكنيسة نورى فى النوبة .

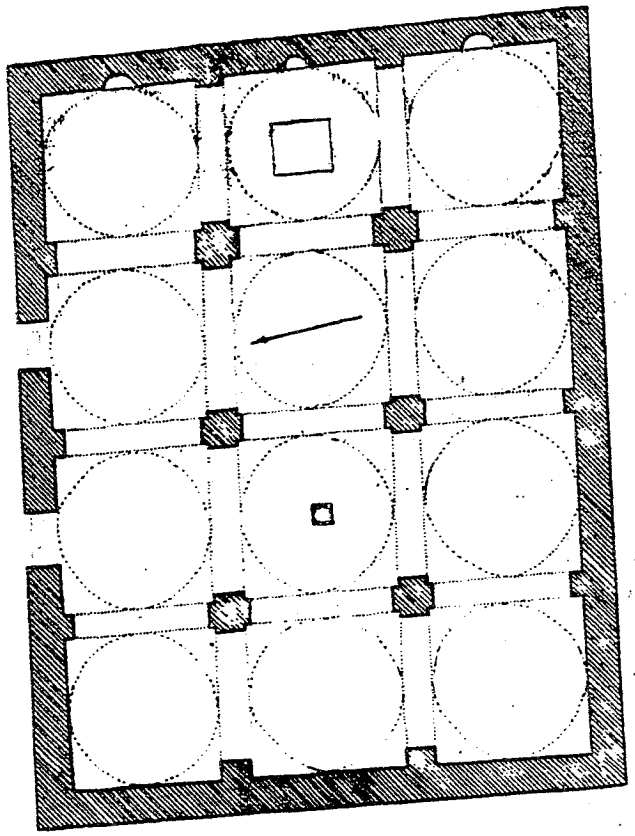

(١٠)مسقط أفقى لكنيسة السيدة العذراء بأسكر مركـز المنصف .

(عـن صمـــوئيل السريانى)

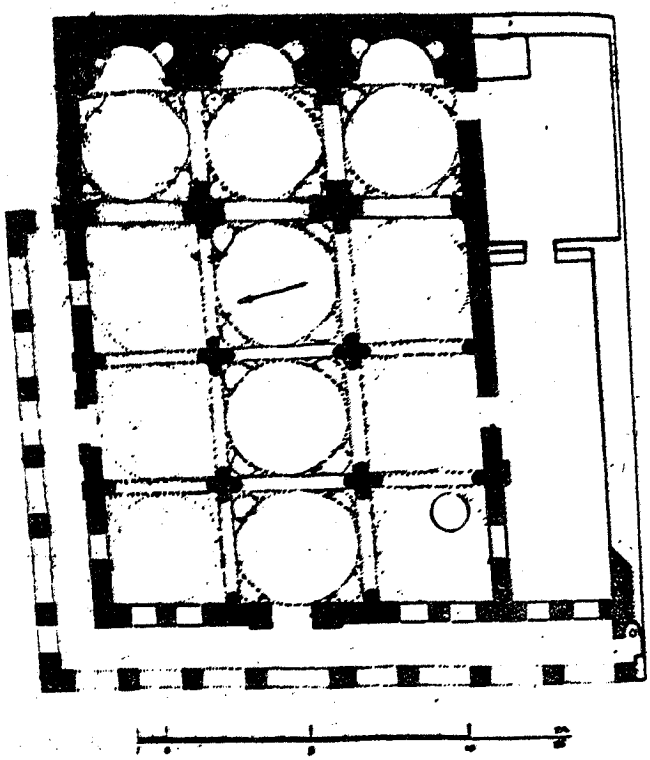

(١١) مسقط أفقى لكنيسة الشهيد تاوضروس بدسيا بالفيوم .(عن صموئيل قسريانى)

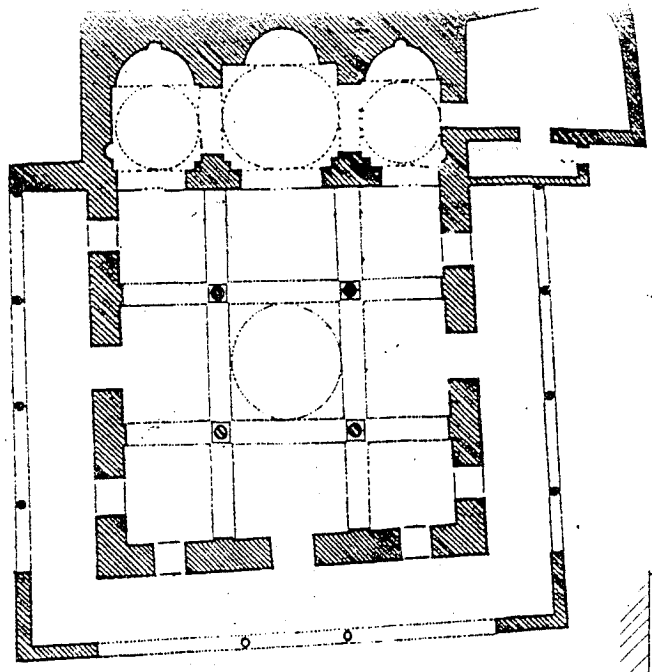

(١٢) مسقط أفقى لكنيسة القديس أبانوب بسمنود . (عن صموئيل السريانى)

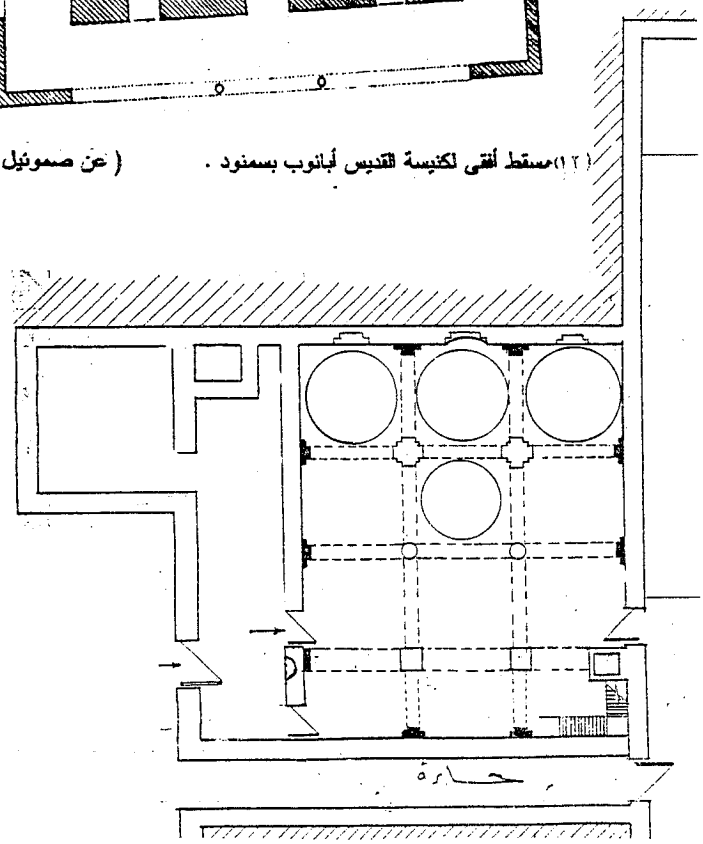

(١٣) مسقط أفقى لكنيسة الملاك غبريال بهور ق١٨:١٧م . (عمل الباحث)

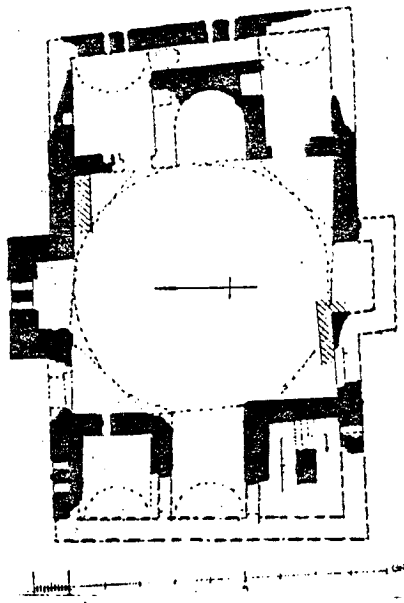

(١٤) مسقط أفقى لكنيسة قلب بالنوبة . ق١٢:١٣م (عن صموئيل السريانى)

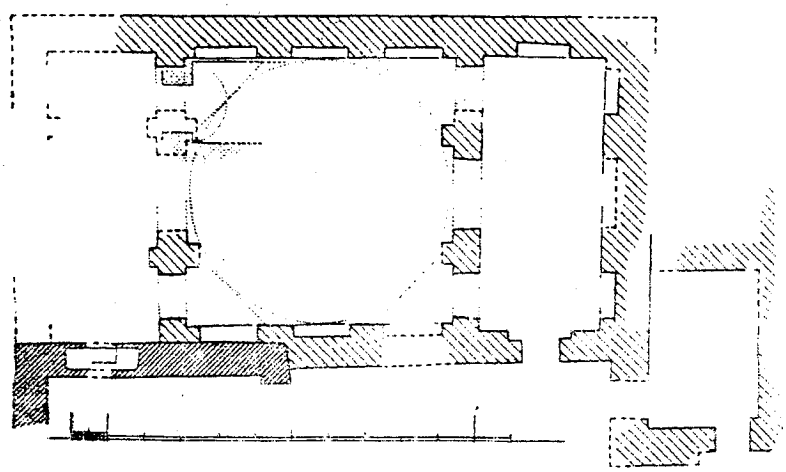

(١٥) مسقط أفقى لكنيسة دير الانبا أرسانيوس (دير القصير) بجبل طيبة (عن صموئيل السريانى)

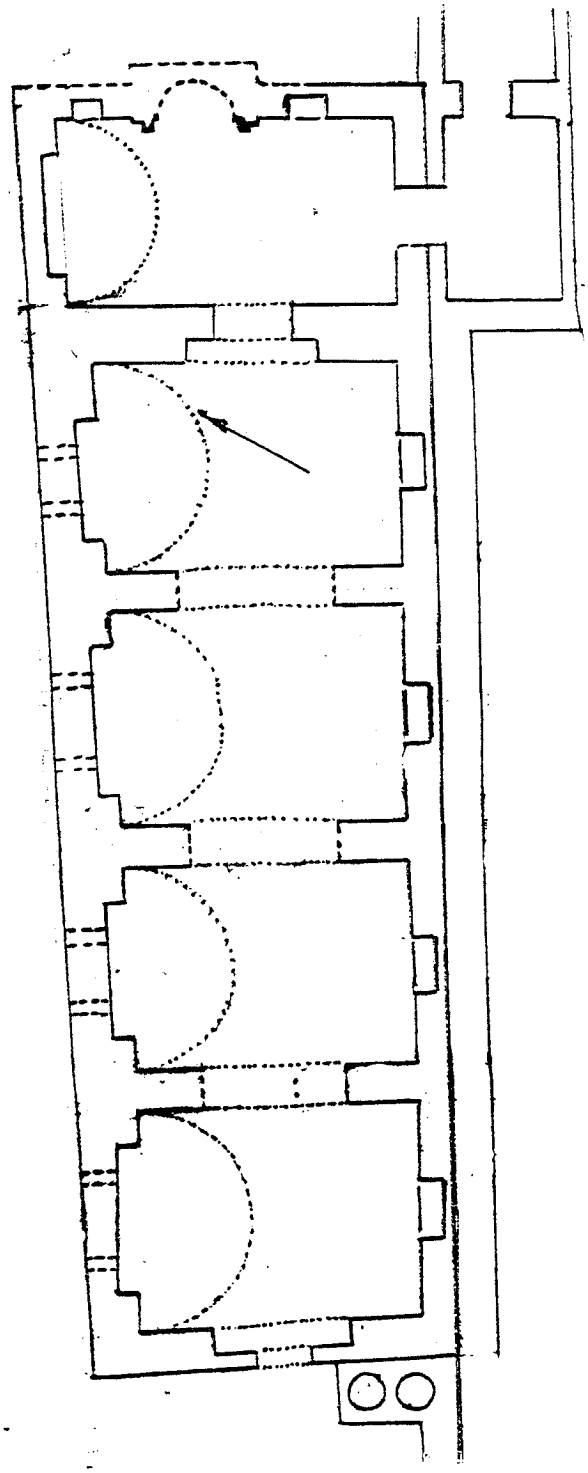

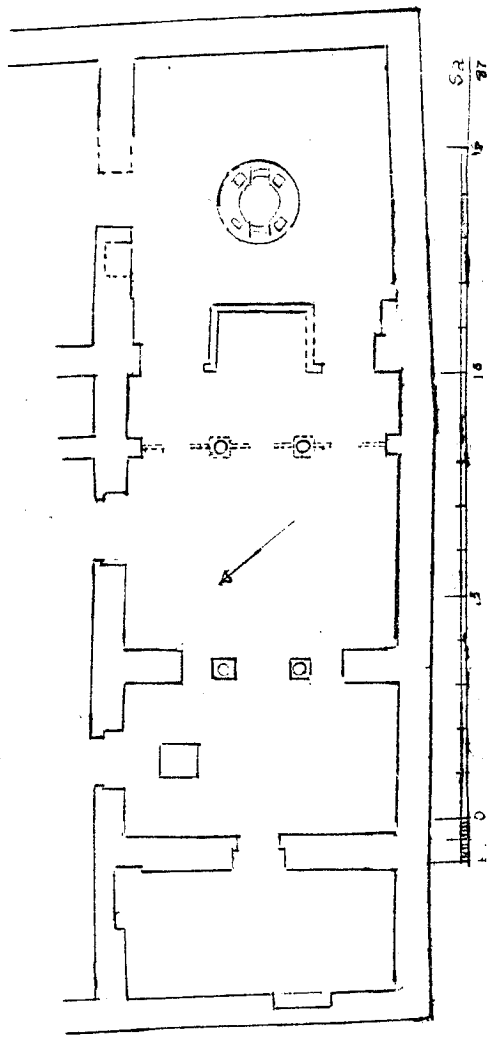

(١٧) مسقط أفقى لكنيسة غرب البازيليكا غرب مريوط

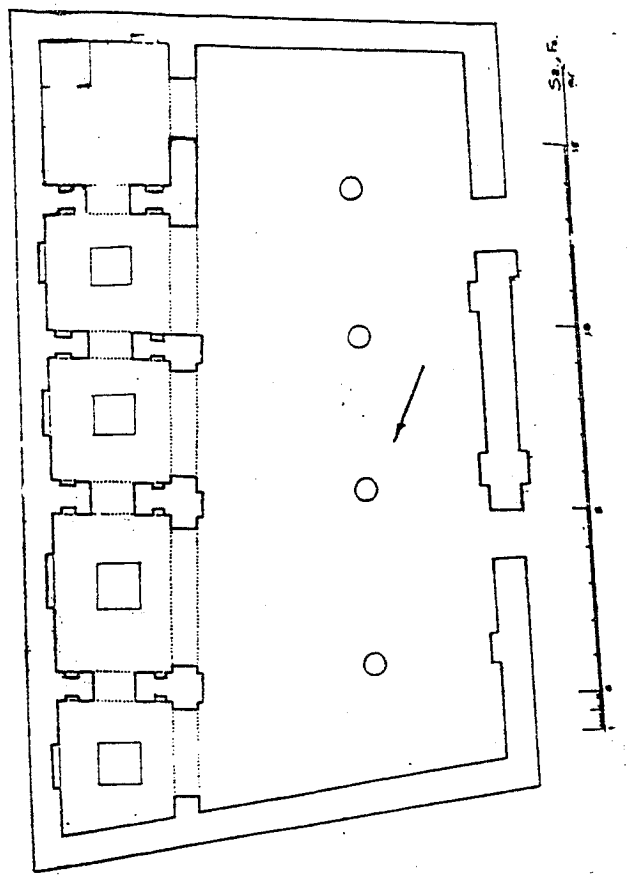

(١٨١) مسقط أفقى لكنيسة الشهيد فيلوثاوس بإنفا سوهاج . ق١٨:١٩م

(عن صموئيل السريانى)

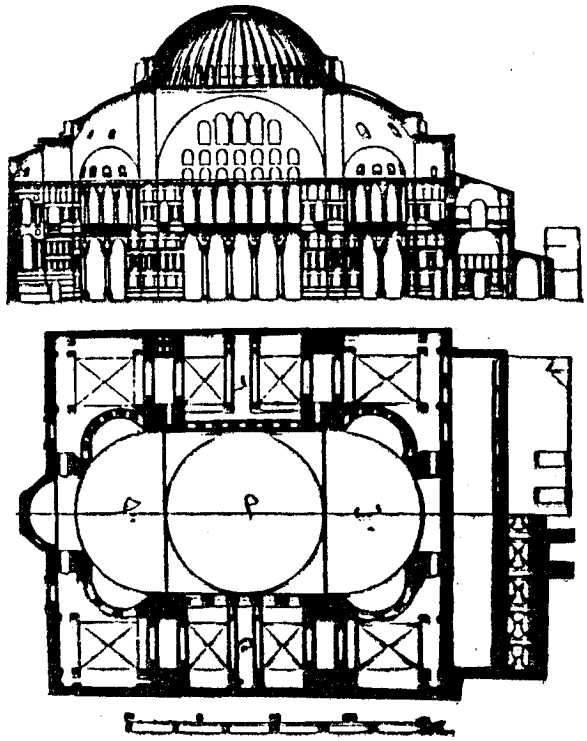

(١٩) - مسقط أفقي وقطاع رأسي لكنيسة القديسة صوفيا .

(٩٠)- كنائس أوربية ذات تخطيط صليبي .

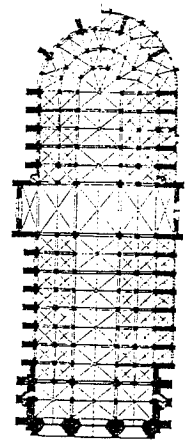

(أ) تخطيط كنيسة نوتردام
القوطية بباريس ، ١١٦٣ – ١٢٥٠
فرنسا .

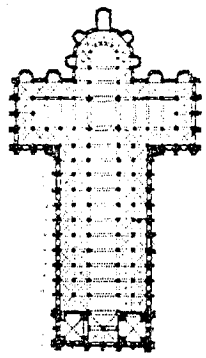

(ب) تخطيط كنيسة سانت
سرنان الرومانسكية ، تولوز ،
١٠٨٠ – ١١٢٠ ، فرنسا .

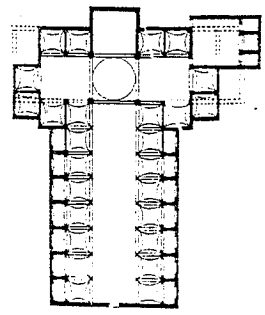

(جـ) تخطيط كنيسة شارتر
الكاتدرائية ١٢٢٠ – ١٥٦٤ ، فرنسا
بتصرف

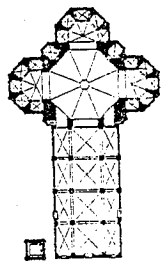

(د) تخطيط كاتدرائية فلورنس
١٢٩٦٠ إيطاليا .

(٢٩) تخطيط كنائس أخميم

(أ)

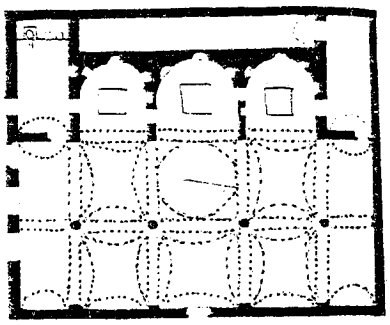

(ب)

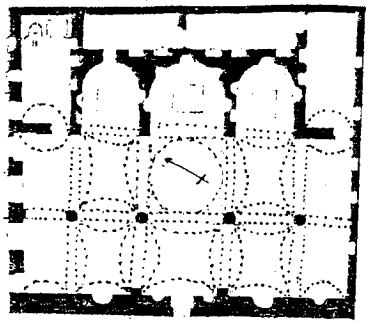

كنيسة دير الملاك بالسلاموني(سنة ١٧٩١م) كنيسة دير العذراء بالحواويش

(جـ)

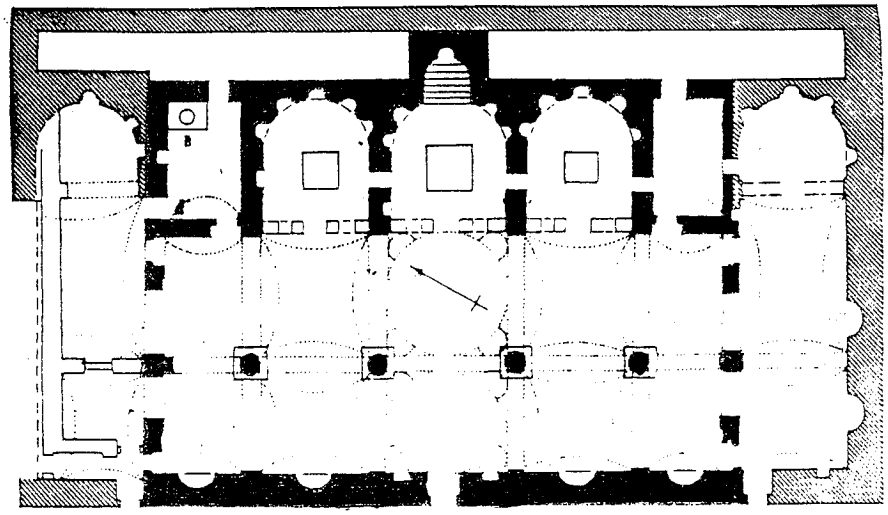

كنيسة دير مار جرجس الحديدي جنوب أخميم